

مفهومها وفضائلها ودلالاتها العقدية

عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر

دار الفضيلة



الحَوْقَلَة

مفهومها، وفضائلها، ودلالاتها العقدية

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله ربّ العالمين، به سبحانه نستهدي، وإياه نستكفي، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العليّ العظيم، وهو المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أما بعد:

فإنَّ للأذكار الشرعية مكانةً عالية في الدين، ومنزلة رفيعة في نفوس المؤمنين، وهي من أجل القربات، وأفضل الطاعات، ولها من الثمار اليانعة والفضائل المتنوعة والخيرات المتوالية في الدنيا والآخرة ما لا يحصيه ويحيط به إلاَّ الله عز وجل.

والكتاب والسنة مليئان بالشواهد العديدة والأدلَّةِ المتنوعة على فضل الذِّكر ورفيع قدره وعلو مكانته وكثرة عوائده وفوائده على أهله الملازمين له والمحافظين عليه.

قال الله تعالى: {**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا**}(١).

وقال تعالى: {**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا**

---

(١) سورة الأحزاب، الآيات (٤١ ـ ٤٤).

عَظِيمًا}[١].

وقد أخرج الترمذي، وابن ماجه، والحاكم وقال: « صحيح الإسناد »، ووافقه الذهبي، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ: « ألا أنبِّئكم بِخيرِ أعمالِكم، وأزكَاها عند مَلِيكِكُم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذَّهب والوَرِق، وخيرٌ لكم مِن أن تلقوا عدوَّكم فتضربوا أعناقَهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذِكر الله »[٢].

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٣٥).

(٢) سنن الترمذي (رقم: ٣٣٧٧)، سنن ابن ماجه (٣٧٩٠)، والمستدرك (٤٩٦/١)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (رقم: ٢٦٢٩).

هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: « سبق المفرِّدون، قالوا: وما المفرِّدون يا رسول الله؟ قال: الذَّاكرون الله كثيراً والذَّاكرات »[١].

وروى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: « مَثَلُ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لا يذكر ربَّه مثلُ الحيِّ والميّت »[٢].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

ثم إنَّ هذه الأذكار الشرعية إضافة إلى دلالة النصوص على عِظم فضلها وكثرة خيراتها وعوائدها، فإنَّها تمتاز بكمال معناها

---

(١) صحيح مسلم (رقم: ٢٦٧٦).
(٢) صحيح البخاري (رقم: ٦٤٠٧).

وجمالِ ألفاظِها وتنوُّعِ دلالاتها وقوة تأثيرها وشمولها لحقائق الإيمان وأبواب الخير، فهي من جوامع كلم الرسول ﷺ ومن محاسن هذا الدِّين العظيم، مع الأمن الكامل فيها من الشَّطَطِ والانحراف في المعاني والدلالات، أو التكلف والتقعُّر في الألفاظ والعبارات.

بل جاءت بألفاظ جزلة وكلمات مختصرة ودلالات عميقة، فهي يسيرٌ لفظُها ونطقها، عظيم معناها ومقصودها، كثير أجرها وثوابها، واسعة خيراتها ومنافعها، متعددة فوائدها وثمراتها.

وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك وأرشد إليه بقوله عليه الصلاة والسلام في وصف أحد هذه الأذكار:

((كَلِمَتَان حَبِيبتان إلى الرَّحمن، خفيفتان على اللّسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم))[١].

وهذا شأن جميع الأذكار الشرعية خفيفةٌ على اللسان، ثقيلةٌ في الميزان، حبيبةٌ إلى الرحمن،مع التفاضل بينها والتمايز حسبما دلت عليه نصوص الشريعة.

ومع ما في الأذكار الشرعية من الكمال والجمال في معانيها ومبانيها إلاّ أنَّك ترى في كثير من عوام المسلمين من يعدل عنها وينصرف إلى أذكار مخترعة وأدعية مبتدعة ليست في الكتاب ولا في السنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((ومن أشدّ

---

(١) رواه البخاري (رقم: ٧٥٦٣).

الناس عيباً من يتخذ حزباً ليس بمأثور عن النَّبيِّ ﷺ،

وإن كان حزباً لبعض المشايخ، ويدع الأحزاب النبوية التي كان يقولها سيّد بني آدم وحجة الله على عباده))[١].

يضاف إلى ذلك ما لدى كثير من المسلمين من الجهل وعدم العلم بمعاني الأذكار الشرعية العظيمة ودلالاتها النافعة القويمة، مما يستوجب مضاعفة العناية بالأذكار النبوية علماً وتعليما، وشرحاً وبيانا، وتوضيحاً وتذكيرا، لتعلم مراميها، وتفهم مقاصدها، وتتضح دلالتها، لتؤدّي بذلك ثمراتها النافعة، وفوائدها الحميدة وخيرها

---

(١) مجموع الفتاوى (٥٢٥/١٢).

المستمر.

قال ابن القيم رحمه الله: ((وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده))[١].

هذا وإنَّ من الأذكار النبوية العظيمة التي كان يحافظ عليها رسول الله ﷺ، ويكثر من قولها، ويحثّ على الإكثار منها والعناية بها الحَوْقَلَة، وهي قول ((لا حول ولا قوة إلاّ بالله))، فإنَّ هذه الكلمة العظيمة لها من الفضائل والفوائد والثمار ما لا يحصيه إلاّ الله، وفيها من المعاني العميقة والدلالات المفيدة ما يثبت الإيمان، ويقوي اليقين، ويزيد صلة

---

(١) الفوائد (ص: ٢٤٧).

العبد بربّ العالمين.

ولما كان الأمر بهذه المثابة وعلى هذا القدر
من الأهمية رأيت إفرادَ هذه الكلمة بهذا البحث الذي جعلته بعنوان:

الحَوْقَلَة: مفهومها، وفضائلها، ودلالاتها العقدية

ورغم أهمية هذا الموضوع وشدّة الحاجة إليه إلاّ أنّي لم أرَ مَن أفرده بالتأليف سوى رسالتين:

إحداهما: لجلال الدين السيوطي، سَمَّاها: ((شرح الحَوْقَلة والحيعلة))، وهي من أول تأليفه سنة (٨٨٦ هـ) كما في كشف الظنون

للحاج خليفة[1]، ولم أقف عليها.

الثانية: لجمال الدين يوسف بن عبد الهادي، أسماها: ((فضل لا حول ولا قوة إلاَّ بالله))، وهي مطبوعة، وقد خصَّها بذكر ما يتعلق بفضل هذه الكلمة.

وقد رأيت أن يكون طرقي لهذا الموضوع من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: مفهوم الحَوْقَلَة.

المبحث الثاني : فضائلها.

المبحث الثالث: دلالاتها العقدية.

المبحث الرابع : في التنبيه على بعض المفاهيم الخاطئة فيها.

---

(١) كشف الظنون (١٠٤٠/٢)

ومن الله تبارك وتعالى أستَمِدُّ العونَ وأستَمْنِحُ التوفيقَ، فلا حول ولا قوة إلاَّ به، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

المبحث الأول: مفهوم الحَوْقَلَة

أولاً: المراد بالحَوْقَلة:

الحَوْقَلة كلمةٌ منحوتة من «لا حول ولا قوة إلاَّ بالله»، وهذا الباب سماعي، وهو من الفعل الرباعي المجرد كما هو مقررٌ في كتب الصرف.

والنحت «هو أن ينحت من كلمتين أو أكثر كلمةً واحدة تدل على معنى الكلام الكثير، وذلك على النحو التالي:

أ - النحت من كلمتين مركبتين تركيباً إضافياً مثلما نحتوا من عبد قيس: عبقسي.

ب ـ النحت من جملة مثل: بسمل أي: قال بسم الله، حوقل، قال: لا حول ولا قوة إلاَّ بالله

».[1]

ويقال لها أيضاً « الحولقة »، قال النووي رحمه الله: « قال أهل اللغة: ويعبر عن هذه الكلمة بالحَوْقلة والحَوْلَقَة ... »[2].

وقال في موضع آخر: « ويقال في التعبير عن قولِهم لا حول ولا قوة إلاَّ بالله الحَوْقَلة، هكذا قاله الأزهري والأكثرون، وقال الجوهري الحَوْلَقَة، فعلى الأول وهو المشهور الحاء والواو من الحول، والقاف

---

(١) التطبيق الصرفي للدكتور عبده الراجحي (ص: ٢٩).

وانظر للاستزادة: المبدع في التصريف لأبي حيان (ص:١٠١)، المغني في تصريف الأفعال، لمحمد عبد الخالق عضيمة (ص:١٠٧)، تصريف الأفعال ومقدمة الصرف، لعبد الحميد عنتر (ص: ١٢٧).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٧/١٧).

من القوة، واللام من اسم الله تعالى، وعلى الثاني الحاء واللام من الحول، والقاف من القوة، والأول أولى لئلا يفصل بين الحروف »[١].

ويلاحظ على هذا أمران:

١ ـ أنَّ الذي ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ونقله عن بعض أهل اللغة كالفراء وابن السكيت
« الحولقة » وليس « الحَوْقَلَة »[٢].

٢ ـ تعليل أولوية لفظ « حوقل » على لفظ « حولق » بحجة عدم الفصل بين الحروف غير واضح؛ لأنَّ « حولق » ليس فيها فصل

---

(١) المصدر السابق (٨٧/٤) ونقله الشوكاني في نيل الأوطار (٣٨/٢).
(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣٧٣/٣)، و(١٣ /١٥٦).

بين الحروف.

ثانياً: معنى «لا حول ولا قوة إلاّ بالله»:

الحول: هو التحرك، يقال: حال الرجل في متن فرسه يحول حولاً وحوُولاً إذا وثب عليه، وحال الشخص إذا تحرك، وكذلك كلُّ متحول عن حاله[١].

والقوة: هي الشدّة وخلاف الضعف، يقال: قوي الرجال، كرضي، فهو قويٌّ وتَقوَّى واقتوى أي: صار ذا شدّة، وقوّاه الله أي: أعطاه القوة وهي الشدّة وعدم الضعف[٢].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (١٢١/٢)، ومجمل اللغة (٢٥٨/١) كلاهما لابن فارس.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣٦/٥)، ومجمل اللغة (٧٣٦/٣)، والقاموس المحيط للفيروزابادي =

فمعنى لا حول ولا قوة إلاَّ بالله أي: لا تحول من حال إلى حال، ولا حصول قوة للعبد على القيام بأيِّ أمر من الأمور، إلاَّ بالله، أي: إلاَّ بعونه وتوفيقه وتسديده، وقد ورد في بيان معنى هذه الكلمة وتوضيح المراد بها عن السلف وأهل العلم نقول عديدة من ذلك:

١ ـ قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في

((لا حول ولا قوة إلاَّ بالله)) أي: ((لا حول بنا على العمل بالطاعة إلاَّ بالله، ولا قوة لنا على

(ص: ١٧١).

ترك المعصية إلاَّ بالله)) رواه ابن أبي حاتم[١].

٢ ـ وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّه قال في معناها أي ((لا حول عن معصية الله إلاَّ بعصمته، ولا قوة على طاعته إلاَّ بمعونته))[٢].

٣ ـ وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معناها أي: ((أنا لا نملك مع الله شيئاً، ولا نملك من دونه، ولا نملك إلاَّ ما ملكنا مِمَّا هو أملك به منا))[٣].

٤ ـ وسئل زهير بن محمد عن تفسير ((

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور (٣٩٣/٥).
(٢) ذكره النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢٦/١٧).
(٣) ذكره ابن علان في الفتوحات الربانية (٢٤٢/١).

لا حول ولا قوة إلاَّ بالله)) فقال: ((لا تأخذ ما تحبّ إلاَّ بالله، ولا تمتنع مما تكره إلاَّ بعون الله)) رواه ابن أبي حاتم[١].

٥ ـ وسئل أبو الهيثم الرازي (ت٢٧٦هـ) وهو إمام في اللغة عن تفسير ((لا حول ولا قوة إلاَّ بالله)) فقال: ((الحول: الحركة، يقال حال الشخص إذا تحرك، فكأنّ القائل إذا قال: لا حول ولا قوة ، يقول: لا حركة ولا استطاعة إلاَّ بمشيئة الله))[٢].

٦ ـ وقيل معناها: ((لا حول في دفع شر، ولا قوة في تحصيل خير إلاَّ بالله))[٣].

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور (٣٩٤/٥).
(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٢٤٣/٥).
(٣) ذكره النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢٦/١٧).

وجميع هذه الأقوال متقاربة في الدلالة على المعنى المراد بهذه الكلمة العظيمة، ولهذا قال النووي ـ رحمه الله ـ بعد أن أورد بعض هذه الأقوال: « وكلُّه متقاربٌ »[١].

ثالثاً: إعراب « لا حول ولا قوة إلاّ بالله »:

« لا »: نافية للجنس.

« حول »: اسم لا، مبني على الفتح في محل نصب، وخبرها محذوف، وتقديره كائن أو موجود.

« ولا » الواو عاطفة، ولا نافية للجنس أيضا.

« قوة » اسم لا، وخبرها محذوف،

---

(١) المصدر السابق (٢٧/١٧).

وتقديره كائنة أو موجودة.

((إلاَّ)) أداة استثناء.

((بالله)) جار ومجرور، متعلق بالخبر المحذوف.

وقد ذكر أهل اللغة أنَّه يجوز في إعراب ((لا حول ولا قوة إلاَّ بالله)) خمسة أوجه[1]، بيانها كما يلي:

١ ـ ((لا حولَ ولا قوةَ إلاَّ بالله)) بفتحهما بلا تنوين.

٢ ـ ((لا حولَ ولا قوةً إلاَّ بالله)) بفتح الأولى ونصب الثاني منوناً.

---

(١) انظر: شرح ابن عقيل على الألفية (٣٩٥/١)، وتفسير القرطبي (١٧٤/٣) وشرح صحيح مسلم للنووي (٨٧/٤)، (٢٥/١٧).

٣ ـ ((لا حولٌ ولا قوةٌ إلاَّ بالله)) برفعهما منونين.

٤ ـ ((لا حولَ ولا قوةٌ إلاَّ بالله)) بفتح الأول ورفع الثاني منوناً.

٥ ـ ((لا حولٌ ولا قوةَ إلاَّ بالله)) برفع الأول منوناً وفتح الثاني.

وإلى هذه الوجوه الخمسة يشير ابن مالك ـ رحمه الله ـ في ألفيته حيث يقول:

عملَ إنّ اجعل للا في نكرة
مفردةً جاءتك أو مكررة
فانصب بها مضافاً أومضارعه
وبعد ذاك الخبر اذكر رافعه
وركّب المفرد فاتِحاً كلا
حول ولا قوة والثان اجعلا
مرفوعاً أو منصوبا أو مركبا

وإن رفعتَ أوّلاً لا تنصبا[١]

ثم إنَّ في هذه الكلمة صيغةً من صيغ الحصر وهي « إلاّ »، بل عدّها السكاكي من أهم صيغ الحصر[٢].

قال الأخضري في أرجوزته مشيراً إلى صيغ الحصر:

وأدوات القصر إلاّ إنّما
عطفٌ وتقديم كما تقدّما[٣].

(١) متن الألفية (ص: ٢١).
(٢) انظر: مفتاح العلوم للسكاكي (ص: ٢٨٩).
(٣) منظومة الجوهر المكنون في علم البلاغة للأخضري (ص:٢٩).

المبحث الثاني: فضائل «لا حول ولا قوة إلاَّ بالله»

لقد وردت نصوص كثيرة في السنة في بيان فضل هذه الكلمة وعظم شأنها، وقد تنوعت هذه النصوص في الدلالة على تشريف هذه الكلمة وتعظيمها، مما يدل بجلاء على عظم فضل هذه الكلمة ورفعة مكانتها، وأنها كلمة عظيمة ينبغي على كلِّ مسلم أن يعنى بها ويهتمّ بها غاية الاهتمام، وأن يكثر من قولها لعظم فضلها عند الله، وكثرة ثوابها عنده، ولما يترتب عليها من خيرات متنوعة وفضائل متعددة في الدنيا والآخرة، ومما يدل على فضل هذه الكلمة العظيمة ما يلي:

١ ـ أنَّها وردت في عدة أحاديث مضمومة إلى الكلمات الأربع الموصفة بأنها أحبّ الكلام إلى الله.

فقد ثبت في المسند وسنن الترمذي والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما على الأرض رجلٌ يقول لا إله إلاَّ الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله، إلاَّ كُفِّرت عنه ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر))[١].

وثبت في سنن أبي داود والنسائي والدار

---

(١) المسند (٢ /١٥٨، ٢١٠)، وسنن الترمذي (رقم: ٣٤٦٠)، ومستدرك الحاكم (٥٠٣/١)، وصحيح الجامع (رقم:٥٦٣٦).

قطني وغيرهم عن ابن أبي أوفى رضي الله عنهما قال:جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني لا أستطيع أن أتعلم القرآن فعلّمني شيئاً يجزيني قال: ((تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله))، فقال الأعرابي هكذا وقبض يديه فقال: هذا لله فمالي، قال: ((تقول: اللّهمَّ اغفر لي وارحمنِي وعافنِي وارزقنِي واهدني)) فأخذها الأعرابي وقبض كفيه،فقال النبي ﷺ: ((أمَّا هذا فقد ملأ يديه بالخير))(١).

---

(١) سنن أبي داود (رقم: ٨٣٢)، وسنن النسائي (٢/ ١٤٣)، وسنن الدار قطني (١/٣١٣ - ٣١٤).

قال أبو الطيب العظيم آبادي في تعليقه على سنن =

٢ ـ ورودها معدودةً في الباقيات الصالحات التي قال الله عنها {**وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً**}[1].

فقد روي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: التكبير والتهليل والتسبيح والحمد ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله))،

الدار قطني: ((سنده صحيح)).
وقال الألباني في صحيح أبي داود (١٥٧/١): ((سنده حسن)).
(١) سورة الكهف، الآية: (٤٦).

رواه أحمد وابن حبان والحاكم وغيرهم[١]، وفي إسناده أبو السمح دراج بن سمعان صدوق، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف[٢]، وهذا منها.

لكن جاء عدُّ لا حول ولا قوة إلاَّ بالله في جملة
((الباقيات الصالحات)) عن غير واحد من الصحابة والتابعين، فقد روى الإمام أحمد في مسنده أنَّ أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه سُئل عن
((الباقيات الصالحات)) ما هي؟ فقال: ((هي لا إله إلاَّ الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله

---

(١) المسند (٧٥/٣)، وصحيح ابن حبان (الإحسان) (رقم:٨٤٠)، والمستدرك (٥١٢/١).
(٢) انظر: تقريب التهذيب (٢٠١).

أكبر، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله »[١].

وروى ابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه سئل عن « الباقيات الصالحات » فقال: لا إله إلاّ الله، والله أكبر، وسبحان الله، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله[٢].

وروى مالك عن عمارة بن صياد عن سعيد بن المسيب قال: « الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله »[٣].

وروى ابن جرير الطبري عن عمارة بن صياد قال: « سألني سعيد بن المسيب عن

---

(١) المسند (٧١/١).
(٢) تفسير الطبري (٢٥٥/١٥).
(٣) تفسير الطبري (٢٥٤/١٥).

الباقيات الصالحات، فقلت: الصلاة والصيام، قال: لَم تصب، فقلت: الزكاة والحج، فقال: لَم تصب، ولكنَّهنَّ الكلمات الخمس: لا إله إلاَّ الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله »[١].

وأثر ابن المسيب هذا يوهم أنَّ « الباقيات الصالحات » محصورةٌ في هؤلاء الكلمات الخمس، والذي عليه المحققون من أهل العلم أنَّ « الباقيات الصالحات » هنّ جميع أعمال الخير، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿والباقيات الصالحات﴾ قال: « هي ذكر الله، قول لا إله إلاَّ الله، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله، واستغفر الله، وصلى الله على

---

(١) تفسير الطبري (٢٥٦/١٥).

رسول الله، والصيام والصلاة والحج والصدقة والعتق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات، التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض »[١].

٣ ـ إخبار النبي ﷺ أنَّها كنزٌ من كنوز الجنة.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبّرنا، وفي رواية: فجعلنا لا نصعد شرفاً ولا نعلو شرفاً ولا نهبط في واد إلاَّ رفعنا أصواتنا بالتكبير، فقال النبي ﷺ: « أيها الناس أربعوا على

---

(١) تفسير الطبري (٢٥٦/١٥).

أنفسكم فإنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، ولكن تدعون سميعاً بصيراً »، ثم أتى عليّ وأنا أقول في نفسي: لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، فقال: « يا عبد الله بن قيس، قل: لا حول ولا قوة إلاَّ بالله فإنَّها كنزٌ من كنوز الجنة »، أو قال: « ألا أدلك على كلمة هي كنزٌ من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلاَّ بالله »[١].

قال بعض أهل العلم في التعليق على هذا الحديث: « كان عليه الصلاة والسلام معلّماً لأمته فلا يراهم على حالة من الخير إلاَّ أحبّ لهم الزيادة، فأحب للذين رفعوا أصواتهم بكلمة الإخلاص والتكبير أن

---

(١) صحيح البخاري (رقم:٤٢٠٥، ٦٣٨٤)، وصحيح مسلم (رقم: ٢٧٠٤).

يضيفوا إليها التبري من الحول والقوة فيجمعوا بين التوحيد والإيمان بالقدر »[١]، وقد جاء في الحديث: « إذا قال العبد لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، قال الله: أسلم واستسلم » رواه الحاكم بإسناد قال عنه الحافظ ابن حجر: « قوي »[٢].

وفي رواية: « ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة؟ تقول: لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، فيقول الله عز وجل: أسلم عبدي واستسلم » رواه الحاكم وقال: « صحيح ولا يحفظ له علة » ووافقه الذهبي.

قال النووي ـ رحمه الله -: « ومعنى الكنز

---

(١) فتح الباري (٥٠١/١١)

(٢) فتح الباري (٥٠١/١١).

هنا أنَّه ثواب مدخرٌ في الجنة، وهو ثوابٌ نفيسٌ كما أنَّ الكنز أنفس أموالكم »[١].

وقال ابن حجر رحمه الله: « كنزٌ من كنوز الجنة من حيث أنَّه يدخر لصاحبها من الثواب ما يقع له في الجنة موقع الكنز في الدنيا؛ لأنَّ من شأن الكانز أن يعد كنزه لخلاصه مما ينوبه والتمتع به فيما يلائمه »[٢].

٤ ـ ورود الأمر بالإكثار منها والإخبار أنَّها من غراس الجنة.

روى الإمام أحمد والترمذي وابن حبان وغيرهم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٦/١٧).
(٢) نقله ابن علان في الفتوحات الربانية (٢٣٨/١).

عنه أنَّ النبي ﷺ ليلة أسري به مرَّ على إبراهيم، على نبينا وعليه الصلاة والسلام فقال: ((يا محمد مُرْ أمَّتَك أن يكثروا من غراس الجنة، قال: وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلاَّ بالله))[١].

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: ((أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلاَّ بالله؛ فإنَّها كنزٌ من كنوز الجنة))[٢].

٥ ـ إخبار النبي ﷺ أنَّها بابٌ من أبواب

---

(١) المسند (٥/٤١٨)، وصحيح ابن حبان (الإحسان) (رقم:٨٢١).

(٢) المسند (٢ /٣٣٣)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (رقم: ١٥٢٨).

الجنة.

روى الإمام أحمد والترمذي والحاكم وغيرهم عن قيس بن سعد بن عبادة أنَّ أباه دفعه إلى النبي ﷺ يخدمه قال: فمرّ بي النبي ﷺ وقد صليت فضربني برجله وقال: «ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟ قلت: بلى، قال: لا حول ولا قوة إلاّ بالله»[1].

٦ ـ تصديق الله لمن قالها.

روى ابن ماجه، والترمذي، وابن حبان، والحاكم، وغيرهم عن أبي إسحاق عن الأغر أبي مسلم، أنَّه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنَّهما

---

(١) المسند(٤٢٢/٣)، والمستدرك (٢٩٠/٤)، وانظر: الصحيحة (٣٥/٤ ـ ٣٧).

شهدا على رسول الله ﷺ أنَّه قال: « إذا قال العبد: لا إله إلاَّ الله والله أكبر، قال: يقول الله تبارك وتعالى: صدق عبدي لا إله إلاَّ أنا وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلاَّ الله وحده، قال: صدق عبدي لا إله إلاَّ أنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلاَّ الله لا شريك له، قال: صدق عبدي لا إله إلاَّ أنا لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلاَّ الله له الملك وله الحمد، قال: صدق عبدي، لا إله إلاَّ أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلاَّ الله ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله، قال: صدق عبدي لا إله إلاَّ أنا ولا حول ولا قوة إلاَّ بي ».

ثم قال الأغر شيئاً لَم أفهمه، قلتُ لأبي جعفر: ما قال؟ قال: « من رُزِقهنّ عند موته لَم تمسّه النار ».

وقال الترمذي: حديث حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الشيخ الألباني رحمه الله: « وهو حديث صحيح »[١].

قال ابن القيم رحمه الله: « الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبدَه، فإنَّ الذاكر يخبر عن الله تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد صدَّقه ربُّه، ومن صدّقه اللهُ تعالى لَم يحشر مع الكاذبين، ورجي له أن يحشر مع الصادقين »[٢].

فهذه بعض الفضائل الدالة على عظم

---

(١) سنن ابن ماجه (رقم:٣٧٩٤)، وسنن الترمذي (رقم:٣٤٣٠)، وصحيح ابن حبان (رقم:٨٥١)، ومستدرك الحاكم (١/٥)، والسلسلة الصحيحة (رقم:١٣٩٠).

(٢) الوابل الصيب (ص:١٦٠).

مكانة هذه الكلمة، ورفعة شأنها، وكثرة عوائدها وفوائدها، وعظم ما يترتب عليها من أجور عظيمة وخيرات جليلة وفوائد متنوعة في الدنيا والآخرة.

وقد نظم ابن العراقي ـ رحمه الله ـ جملةً من الفضائل الواردة لهذه الكلمة في أبيات لطيفة فقال:

يا صاح أكثر قول لا حول ولا

قوة إلاَّ فهي للدَّاء

دوا

وإنَّها كنز من الجنَّة يا

فوز امرئ لِجَنَّة المأوى

أوا

له يقول ربنا أسلم لي

عبدي واستسلم رضياً
هوا

وأنشد أيضاً لنفسه:

تـبرّأ مـن الحـــول والـقـــوة
تـنـل أيَّ كنــز مــن
الجـنـة

وسلّــم أمــورك لله كــــــي
تـبـيـت وتـصـبـح فـي
جنـة

ولا ترج إن مسّ خطب ســوى
إلـهك ذي الفضل والـمنة

وواظب على الخير واحرص على
أداء الفـرائـــض

والسنــة

وكن سالم الصدر للمسلمـيــن

من غـلٍّ وحـقد ومن ظـنَّةٍ[١].

* * *

(١) انظر: فضل لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، لابن عبد الهادي (ص:٣٩ ـ ٤٠).

المبحث الثالث: دلائل «لا حول ولا قوة إلاَّ بالله» العقدية:

إنَّ هذه الكلمة العظيمة التي سبق ذكر بعض فضائلها وبيان شيء من ميزاتها ومحاسنها ذاتُ دلالات عميقة ومعان جليلة تشهد بحسنها، وتدل على كماله وعظم شأنها وكثرة عوائدها وفوائدها.

وإنَّ أحسن ما يستعان به على فهم دلالاتها ومعرفة معانيها ومقاصدها قولُ النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: «ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة؟ تقول:لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، فيقول

الله عز وجل: أسلم عبدي واستسلم))[١].

وقد روى ابن عبد الهادي في كتابه ((فضل لا حول ولا قوة إلاّ بالله)) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((من قال بسم الله فقد ذكر اللهَ، ومن قال الحمد لله فقد شكر الله، ومن قال: الله أكبر فقد عظّم اللهَ، ومن قال: لا إله إلاّ الله فقد وحّد الله، ومن قال:لا حول ولا قوة إلاّ بالله فقد أسلم واستسلم وكان له بها كنزٌ من كنوز الجنة))[٢].

وروي عن ابن عمر أنَّه قال: ((سبحان الله هي صلاة الخلائق، والحمد لله كلمة

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فضل لا حول ولا قوة إلاّ بالله لابن عبد الهادي (ص:٣٥).

الشكر، ولا إله إلاَّ الله كلمة الإخلاص، والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض، وإذا قال: لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، قال الله تعالى: أسلم واستسلم))[١].

فهي كلمة إسلام واستسلام، وتفويض وتبرّؤٍ من الحول والقوّة إلاَّ بالله، وأنَّ العبد لا يملك من أمره شيئاً، وليس له حيلةٌ في دفع شر، ولا قوةٌ في جلب خير إلاَّ بإرادة الله تعالى ، فلا تحوّل للعبد من معصية إلى طاعة، ولا من مرض إلى صحة، ولا من وهن إلى قوة، ولا من نقصان إلى كمال وزيادة إلاَّ بالله، ولا قوة له على القيام بشأن

---

(١) رواه رزين كما في مشكاة المصابيح للتبريزي (٧١٨/٢).

من شؤونه، أو تحقيق هدفٍ من أهدافه أو غاية من غاياته إلاّ بالله العظيم، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فأزمّةُ الأمور بيده سبحانه، وأمور الخلائق معقودةٌ بقضائه وقدره، يصرفها كيف يشاء ويقضي فيها بما يريد، لا رادّ لقضائه، ولا معقّب لحكمه، فما شاء كان كما شاء في الوقت الذي يشاء، على الوجه الذي يشاء من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقدّم ولا تأخر، له الخلق والأمر، وله الملك والحمد، وله الدنيا والآخرة، وله النعمة والفضل، وله الثناء الحسن، شملت قدرته كلَّ شيء، {**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونَ**}[1]، {**مَا**

---

(١) سورة يس، الآية (٨٢).

يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ}[١]، ومن كان هذا شأنه فإنَّ الواجب الإسلامُ لألوهيته والاستسلام لعظمته، وتفويض الأمور كلِّها إليه، والتبرّؤُ من الحول والقوة إلاَّ به، ولهذا تعبّد الله عباده بذكره بهذه الكلمة العظيمة التي هي باب عظيم من أبواب الجنة وكنز من كنوزها.

فهي كلمة عظيمة تعني الإخلاص لله وحده بالاستعانة، كما أنَّ كلمة التوحيد لا إله إلاَّ الله تعني الإخلاص لله بالعبادة، فلا تتحقق لا إله إلاَّ الله إلاَّ بإخلاص العبادة كلِّها لله، ولا تتحقق لا حول ولا قوة إلاَّ بالله إلاَّ بإخلاص

---

(١) سورة فاطر، الآية (٢).

الاستعانة كلّها لله، وقد جمع الله بين هذين الأمرين في سورة الفاتحة أفضل سورة في القرآن، وذلك في قوله: {**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**} فالأوّل تبرّؤٌ من الشرك، والثاني تبرّؤٌ من الحول والقوّة، وتفويضٌ إلى الله عز وجل، والعبادة متعلّقة بألوهية الله سبحانه، والاستعانة متعلّقة بربوبيّته، العبادة غاية، والاستعانة وسيلة، فلا سبيل إلى تحقيق تلك الغاية العظيمة إلاّ بهذه الوسيلة: الاستعانة بالله الذي لا حول ولا قوة إلاّ به.

ويمكن أن نلخص الدلالات العقدية لهذه الكلمة العظيمة في النقاط التالية:

١ ـ أنَّها كلمة استعانة بالله العظيم، فحريٌّ بقائلها والمحافظ عليها أن يظفر بعون الله له

وتوفيقه وتسديده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وقول

(لا حول ولا قوة إلاّ بالله) يوجب الإعانة؛ ولهذا سنّها النبي ﷺ إذا قال المؤذّن: حيّ على الصلاة، فيقول المجيب: لا حول ولا قوة إلاّ بالله، فإذا قال: حي على الفلاح، قال المجيب: لا حول ولا قوة إلاّ بالله.

وقال المؤمن لصاحبه: {**وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ**}[1]، ولهذا يؤمر بهذا من يخاف العين على شَيء، فقوله:ما شاء الله، تقديره: ما شاء الله كان، فلا يأمن؛ بل يؤمن بالقدر ويقول: لا قوّة إلاّ

---

(١) سورة الكهف، الآية (٣٩).

بالله، وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه المتفق عليه: أنَّ النبي ﷺ قال: ((هي كنز من كنوز الجنة))، والكنز مال مجتمع لا يحتاج إلى جمع؛ وذلك أنَّها تتضمن التوكل والافتقار إلى الله تعالى.

ومعلوم أنَّه لا يكون شيء إلاَّ بمشيئة الله وقدرته، وأنَّ الخلق ليس منهم شيء إلاَّ ما أحدثه الله فيهم، فإذا انقطع طلب القلب للمعونة منهم وطلبها من الله فقد طلبها من خالقها الذي لا يأتي بها إلاَّ هو، قال تعالى **{مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ}**[1]، وقال تعالى: **{وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ**

---

(١) سورة فاطر، الآية (٢).

لِفَضْلِهِ}[١] ، وقال تعالى: **{وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**[2]، وقال تعالى: **{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ}**[٣].

وقال صاحب يس: **{أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ}**[٤]، ولهذا يأمر الله بالتوكل عليه وحده في غير موضع، وفي الأثر: « من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله،

---

(١) سورة يونس، الآية (١٠٧).
(٢) سورة الأنعام، الآية (١٧).
(٣) سورة الزمر، الآية (٣٨).
(٤) سورة يس، الآيتان (٢٣ ـ ٢٤).

ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده »[١].

ولهذا ورد في السنة مشروعية قول هذه الكلمة عند خروج المسلم من منزله لقضاء أموره الدينية أو الدنيوية استعانةً بالله واعتماداً عليه، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من قال ـ يعني إذا خرج من بيته ـ بسم الله، توكلت على الله لا حول ولا قوة إلاَّ بالله تعالى، يقال له: كفيت، ووقيت، وهديت، وتنحى عنه الشيطان، فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي » رواه أبو داود والترمذي،

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٣٢١ ـ ٣٢٢).

وقال: «حديث حسن صحيح»[١].

ولهذا أيضاً جعل بعض أهل العلم هذه الكلمة في مستهل ومفتتح مؤلفاتهم طلباً للإعانة من الله عز وجل كما في مقدمة صريح السنة للطبري، والأربعين في دلائل التوحيد للهروي، والصفات للدار قطني وغيرها.

٢ - تضمنها الإقرار بربوبيّة الله وأنَّه وحده الخالق لهذا العالَم، المدبِّر لشؤونه، المتصرف فيه بحكمته ومشيئته، لا يقع شيءٌ في هذا العالم من حركة أو سكون، أو خفض

---

(١) أبو داود (رقم:٥٠٩٥)، والترمذي (رقم:٣٤٢٦) وصححه الألباني في تحقيقه للكلم الطيب لابن تيمية (ص: ٤٩).

أو رفع، أو عز أو ذل، أو عطاء أو منع إلاَّ بإذنه، يفعل ما يشاء ولا يُمانع ولا يُغالب، بل قد قهر كلَّ شيء، ودان له كلُّ شيء، كما قال تعالى: **{أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}**[1]، وقال تعالى: **{مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ}**[2]، وقال تعالى: **{يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ}**[3]، فالقائل لتلك الكلمة مقرٌّ بهذا،مذعن به، معترف أنَّ أموره كلَّها بيد ربّه ومليكه وخالقه لا قدرة له على شيء ولا حول ولا

---

(١) سورة الأعراف، الآية (٥٤).

(٢) سورة فاطر، الآية (٢).

(٣) سورة يونس، الآية (٣).

قوة إلاَّ بإذن ربّه ومولاه، وبتوفيق سيّده ومليكه، ولهذا إليه يلجأ، وبه يستعين، وعليه يعتمد في كلِّ أحواله وفي جميع شؤونه.

٣ ـ تضمنها الإقرار بأسماء الله وصفاته، إذ القائل لهذه الكلمة ـ ولا بد ـ مقرٌّ بأنَّ المدعو المقصود الملتجأ إليه بهذه الكلمة غنيٌّ بذاته، وكلُّ ما سواه فقيرٌ إليه، قائم بذاته، وكلُّ ما سواه لا يقوم إلاَّ به، قديرٌ لذاته، وكلُّ ما سواه عاجز لا قدرة له إلاَّ بما أقدره، متصف بجميع صفات الكمال ونعوت العظمة والجلال، وكلُّ ما سواه ملازمه النقص، وليس الكمال المطلق إلاَّ له سبحانه وتعالى، فلعظمة أسمائه وكمال نعوته وصفاته استحق أن يقصد وحده، وأن لا يلجأ إلاَّ إليه.

٤ ـ وفي هذا دلالة وإشارة إلى التلازم بين التوحيد العلمي بقسميه: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، والتوحيد العملي الذي هو توحيد الألوهية.

فإنَّ العبد إذا أقرّ بربوبية الله وكماله في أسمائه وصفاته فإنَّ ذلك يستلزم أن لا يلجأ إلاَّ إليه، ولا يقصد أحداً سواه، وإن لَم يفعل ذلك فإنَّه لا يكون موحداً بمجرد إقراره بربوبيّة الله وإيمانه بأسماء الله وصفاته، فلو أقرّ بما يستحقه الرب تعالى من الصفات، ونزهه عن كلِّ ما ينزه عنه، وأقرّ بأنه وحده خالق كلِّ شيء لَم يكن من أهل الإيمان والتوحيد ما لَم يشهد أنَّه لا إله إلاَّ الله، ويعمل بمقتضى ذلك فلا يعبد إلاَّ إيّاه، ولا يتوكل إلاَّ عليه، ولا يعمل إلاَّ لأجله.

٥ ـ تضمنها الإقرار بألوهية الله، وأنَّه وحده المعبود بحق ولا معبود بحق سواه، وذلك في قوله «إلاَّ بالله».

والله معناه كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين»[١]، وقد جمع رضي الله عنه في هذا التفسير بين ذكر الألوهية وهي الوصف المتعلق بالله من هذا الاسم فهو سبحانه المألوه المعبود المرجو المطاع الذي لا يستحق العبادة أحدٌ سواه، وبين وصف العبد وهو العبودية؛ إذ إنَّ عباد الله هم الذين يعبدونه ويألهونه ويقومون بطاعته وحده لا شريك له.

ثم إنَّ هذا الاسم مستلزمٌ لجميع أسماء الله

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٥٤/١).

الحسنى دالٌ عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين له، ولهذا كان من خصائص هذا الاسم أنَّ الله جلّ وعلا يضيف سائر الأسماء إليه كقوله: {**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**}[١]، ويقال: العزيز الحكيم الرحيم من أسماء الله، ولا يقال الله من أسماء الرحمن، فلهذا الاسم شأنه ومكانته وخصائصه.

قال ابن منده رحمه الله: ((فاسم الله معرفة ذاته، منع الله عز وجل خلْقه أن يتسمّى به أحدٌ من خلقه، أو يدعى باسمه إله من دونه، جعله أوّلَ الإيمان، وعمود الإسلام، وكلمة الحق والإخلاص، ومخالفة الأضداد والإشراك فيه، يحتجز القائل من القتل، وبه

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٨٠).

تفتتح الفرائض وتنعقد الأيمان، ويستعاذ من الشيطان، وباسمه يفتتح ويختم الأشياء، تبارك اسمه ولا إله غيره »[١].

٦ ـ تضمنها الإيمان بقضاء الله وقدره، ولهذا ترجم لها الإمام البخاري في كتاب القدر من صحيحه بقوله: « باب: لا حول ولا قوة إلاّ بالله »، ودلالة هذه الكلمة على الإيمان بالقدر ظاهرة؛ إذ فيها تسليم العبد واستسلامه وتبرّؤه من الحول والقوة، وأنَّ الأمورَ إنَّما تقع بقضاء الله وقدره.

قال ابن بطال: « كان عليه الصلاة السلام معلّماً لأمته فلا يراهم على حالة من الخير إلاّ أحبّ لهم الزيادة، فأحبّ للذين رفعوا

---

(١) التوحيد لابن منده (٢/٢١).

أصواتهم بكلمة الإخلاص والتكبير أن يضيفوا إليها التبرّي من الحول والقوّة فيجمعوا بين التوحيد والإيمان بالقدر))[١].

٧ ـ أنَّ فيها معنى الدعاء الذي هو روح العبادة ولبُّها، وقد ذكر الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في كتاب الدعوات من صحيحه باباً بعنوان: ((باب قول لا حول ولا قوّة إلاّ بالله))، فهي من جملة الأدعية النبوية النافعة المشتملة على معاني الخير وجوامع الكلم.

٨ ـ أنَّ فيها الإيمان بمشيئة الله النافذة، وأنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنّ مشيئة العبد تحت مشيئة الله، كما قال الله تعالى: {**لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أن يَسْتَقِيمَ وَمَا**

---

(١) فتح الباري (١١/٥٠١).

تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ}[١]، فلا قدرة للعبد على القيام بما يشاء من الخير وما يريده من المصالح إلاَّ أن يشاء الله، قال الله تعالى: {**وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله**}[٢].

٩ ـ أنَّ فيها الإقرارَ من العبد بفقره واحتياجه إلى ربّه في جميع أحواله وكافة شؤونه، كما قال الله تعالى: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**}[٣].

وقد بيّن الله سبحانه في هذه الآية الكريمة

---

(١) سورة التكوير، الآيتان (٢٨ ـ ٢٩).

(٢) سورة الكهف، الآية (٣٩).

(٣) سورة فاطر، الآية (١٥).

أنَّ فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم لا ينفك عنهم، وهو ثابتٌ لهم لذواتهم وحقائقهم من كلِّ وجه، لا غنى لهم عن ربّهم وسيّدهم طرفة عين ولا أقلّ من ذلك.

قال ابن القيم رحمه الله: « اعلم أنَّ كلَّ حي

- سوى الله - فهو فقيرٌ إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضرّه، والمنفعة للحيّ من جنس النعيم، واللذّة والمضرّة من جنس الألم والعذاب، فلا بد من أمرين: أحدهما هو المطلوب المقصود المحبوب الذي ينتفع به ويتلذذ به، والثاني هو المعين الموصل المحصل لذلك المقصود والمانع لحصول المكروه والدافع له بعد وقوعه.

فهاهنا أربعة أشياء: أمر محبوب مطلوب

الوجود، والثاني أمر مكروه مطلوب العدم، والثالث الوسيلة إلى حصول المحبوب، والرابع الوسيلة إلى دفع المكروه، فهذه الأمور الأربعة ضرورية للعبد، بل ولكلِّ حي سوى الله، لا يقوم صلاحه إلاَّ بها.

إذا عرف هذا فالله سبحانه هو المطلوب المعبود المحبوب وحده لا شريك له، وهو وحده المعين للعبد على حصول مطلوبه، فلا معبود سواه ولا معين على المطلوب غيره، وما سواه هو المكروه المطلوب بعده، وهو المعين على دفعه، فهو سبحانه الجامع للأمور الأربعة دون ما سواه، وهذا معنى قول العبد {**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**} فإنَّ هذه العبادة تتضمن المقصود المطلوب على أكمل الوجوه، والمستعان هو الذي يستعان به

على حصول المطلوب ودفع المكروه، فالأوّل من مقتضى ألوهيّته، والثاني من مقتضى ربوبيّته))[١].

١٠- أهمية الارتباط بالله في جميع الأمور الدينية والدنيوية،وإذا صح هذا الأمر من العبد قوي يقينه وزاد إخلاصه وعظمت ثقته بالله،والمؤمن الصادق يصحبه هذا الأمر في كلِّ أحواله وجميع شؤونه، فهو في صلاته وصيامه وحجه وبره وغير ذلك من أمور دينه يطلب الحولَ والقوّة على تحقيق ذلك والقيام به وتتميمه من الله تعالى، وفي جلبه للرزق وطلبه للمباح وغير ذلك من أمور دنياه يطلب الحول والقوة على تحصيل ذلك ونيله من الله تبارك وتعالى، فهو معتمد على

(١) طريق الهجرتين لابن القيم (ص:٥٣).

الله في جلب حوائجه وحظوظه الدنيوية ودفع مكروهاته ومصائبه، ومعتمد على الله في حصول ما يحبّه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والصلاة والصيام والحج والجهاد والدعوة وغير ذلك.

١١ ـ أنَّ فيها رداً على القدريّة النفاة، الذين ينفون قدرة الله ويجعلون العبد هو الخالق لفعل نفسه دون أن يكون لله عليه قدرة،فقول العبد «لا حول ولا قوّة إلاَّ بالله» فيه إثبات القدرة والمشيئة لله، وأنّ حول العبد وقوّته إنَّما يكون بالله، ولهذا كانت هذه الكلمة متضمنةً الردّ على القدريّة النافين لذلك.

قال ابن بطال: «هذا بابٌ جليل في الردّ على القدرية؛ وذلك أنَّ معنى لا حول ولا

قوة إلاَّ بالله أي: يخلق الله له الحول والقوّة وهي القدرة على فعله للطاعة أو المعصية كما ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنَّ الباري تعالى خالق لحول العبد وقدرته على مقدوره، وإذا كان خالقاً للقدرة فلا شك أنَّه خالق للشيء المقدور »[١].

١٢ ـ أنَّ فيها رداًّ على الجبرية النافين لمشيئة العبد وقدرته القائلين بأنَّ الإنسان مجبور على فعل نفسه، وأنَّه كالورقة في مهب الريح لا حول له ولا قدرة، فقول « لا حول ولا قوّة إلاَّ بالله » متضمنٌ إبطال ذلك وتكذيبه، وذلك لتضمنها إثبات القوّة والحول

(١) نقله ابن علان في الفتوحات الربانية (١/٢٤٢ ـ ٢٤٣).

للعبد، وأنَّ ذلك إنَّما يقع له بمشيئة الله وقدرته **{لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أن يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ}**[1].

فهذه بعض دلالات هذه الكلمة العظيمة، وشيء من معانيها الجليلة الدالة على رفعة مكانتها وعظم شأنها وكثرة فوائدها وعوائدها والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة التكوير، الآيتان (٢٨ ـ ٢٩).

المبحث الرابع: في التنبيه على بعض المفاهيم الخاطئة حول ((لا حول ولا قوّة إلاَّ بالله)).

مرَّ معنا في المباحث السابقة معنى هذه الكلمة العظيمة وشيء من فضائلها، وذكر جملة من دلائلها العقدية، وسيكون الحديث في هذا المبحث عن ذكر بعض المفاهيم الخاطئة المتعلقة بهذه الكلمة سواء في لفظها أو في معناها.

١ ـ فمن ذلك أنَّ من الناس من يخطئ في استعمال هذه الكلمة فيجعلها كلمة استرجاع ولا يفهم منها معنى الاستعانة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((وذلك أنَّ هذه الكلمة (أي: لا حول ولا قوّة إلاَّ بالله) هي

كلمة استعانة لا كلمة استرجاع، وكثيرٌ من الناس يقولها عند المصائب بمنزلة الاسترجاع، ويقولها جزعاً لا صبراً))[١].

٢ـ ومن ذلك ما حكاه بعض أهل اللغة أنّه يقال فيها ((لا حيل ولا قوّة إلاَّ بالله))[٢].

قال النووي رحمه الله: ((وحكى الجوهري لغةً غريبة ضعيفة أنَّه يقال لا حيل ولا قوّة إلاَّ بالله بالياء،وقال الحيل والحول بمعنى))[٣].

٣ ـ ومن ذلك اختصار بعض العوام لها عند نطقها بقولهم ((لا حول الله))، وهذا من

---

(١) الاستقامة (٨١/٢).

(٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٤٤/٥)، والصحاح للجوهري (١٦٨٢/٤).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٨٧/٤).

الاختصار المخلّ، مع ما فيه من الغفلة عن كمال الأذكار الشرعية في مبانيها ومعانيها.

وقد سُئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ عن ذلك فقال: «كأنّهم يريدون «لا حول ولا قوّة إلاّ بالله» فيكون الخطأ فيها في التعبير، والواجب أن تعدل على الوجه الذي يراد بها فيقال «لا حول ولا قوّة إلاّ بالله»»(١).

٤ ـ ومن ذلك تحريف معناها عن غير وجهه وصرف دلالاتها عن مقصودها بالتأويلات البعيدة والتحريفات الباطلة، كقول يحيى بن ربيع الأشعري «فإنَّها ـ أي كلمة لا

---

(١) مجموع فتاواه ورسائله رحمه الله، جمع فهد السليمان (١٢٩/٣).

حول ولا قوّة إلاّ بالله ـ توقف على كلِّ جهة ما يليق بها، وتجعل للعبد قدرة كسبية حالية، وتجعل الإسناد للرب سبحانه وتعالى عن كلِّ شريك في ذاته وصفاته وأفعاله، وتثبت الاقتدار من العبد، وتثبت أحوالاً بلا واسطة وقدرة في جبر، وهذا من الحكم العجيب جاءهم ليوافق قوله لا حول ولا قوّة إلاّ بالله على نصّها من غير تأويل ››[١].

قلت: بل هو عين التأويل الباطل، حيث جعل هذه الكلمة دالة على قول الأشاعرة بأنَّ العبد له قدرة غير مؤثرة يسمونها الكسب، ومحصل ذلك تقرير قول الجبرية القائلين بنفي القدرة عن العبد؛ إذ لا فرق بين من

---

(١) الفتوحات الربانية (٢٤٢/١).

يثبت للعبد قدرة غير مؤثرة، وبين من ينفي قدرته أصلاً، ولهذا صرح هنا بأنَّها ((قدرة في جبر)) لأنَّها قدرة غير مؤثرة، وغاية ذلك أنَّ العبد مجبور على فعل نفسه كقول الجهمية سواء، والله أعلم.

وختاماً فإني أحمد الله الكريم على ما منّ به ويسر من إعداد هذا البحث، وأسأله سبحانه أن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعله نافعاً لعباده، إنَّه جوّاد كريم، وهو سبحانه أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فهرس المراجع

- سنن الترمذي: تحقيق أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي.
- سنن ابن ماجه: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- المستدرك على الصحيحين: للحاكم، دار المعرفة بيروت.
- صحيح الجامع الصغير: للألباني، المكتبة الإسلامي، الثالثة ١٤٠٢هـ.
- صحيح مسلم: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- صحيح البخاري: المكتبة الإسلامية، استانبول.
- مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط.

- الفوائد: لابن القيم، تحقيق محمد بشير محمد عيون، نشر مكتبة البيان، الأولى ١٤٠٧هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للحاج خليفة، المكتبة الفيصلية، مكة.
- التطبيق الصرفي: للدكتور عبده الراجحي
- المبدع في التصريف: لأبي حيان الأندلسي
- المغني في تصريف الأفعال:لمحمد عبد الخالق عضيمة
- المسند: للإمام أحمد، المكتب الإسلامي، بيروت، الخامسة ١٤٠٥هـ.
- سنن النسائي: دار الكتاب العربي، بيروت.
- سنن أبي داود: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية.
- سنن الدارقطني: للدار قطني، دار نشر الكتب الإسلامية، باكستان.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان:لعلاء الدين

بن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري: للحافظ ابن حجر، دار المعرفة، بيروت.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة: للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة ١٤٠٣هـ.
- الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب:لابن القيم، تحقيق بشير عيون، دار البيان، دمشق.
- فضل لا حول ولا قوّة إلاّ بالله:لابن عبد الهادي، تحقيق عبد الهادي محمد منصور، دار السنابل ١٤١٦ هـ.
- مشكاة المصابيح: للخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، الثالثة ١٤٠٥ هـ.
- التوحيد:لابن منده، تحقيق د/ علي ناصر فقيهي، الجامعة الإسلامية.

- طريق الهجرتين: لابن القيم، المطبعة السلفية، القاهرة.
- الصحاح: للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ١٤٠٢ هـ.
- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين: جمع فهد السليمان، دار الوطن، ١٤١٢ هـ.
- شرح صحيح مسلم: للنووي، المطبعة المصرية، القاهرة.
- نيل الأوطار: للشوكاني، دار الجيل، بيروت.
- تهذيب اللغة: للأزهري، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار القومية العربية، القاهرة، ١٣٨٤ هـ.
- معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية.
- مجمل اللغة: لابن فارس، تحقيق زهير بن عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت،

١٤٠٤ هـ.
- القاموس المحيط: للفيروز ابادي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧ هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.
- الفتوحات الربانية على الأذكار النووية: لابن علان، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت.
- ألفية ابن مالك: لابن مالك، دار الباز، مكة المكرمة.
- شرح ابن عقيل على الألفية:لابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
- الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الكلم الطيِّب: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي.
- مفتاح العلوم: للسكاكي، تحقيق نعيم زرزور، دار

الكتب العلمية.

- الجوهر المكنون في علم البلاغة: لعبد الرحمن الأخضري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٥ هـ.
- تصريف الأفعال ومقدمة الصرف: لعبد الحميد عنتر، طبعة الجامعة الإسلامية.